دار الكتب المصرية



عن

أبى المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبى

(طبقا للنسخة الوحيدة المحفوظة "بالخزانة الزكية")

بتحقيق

الأستاذ أحمد زكى باشا

الطبعة الثالثة

مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة

١٩٩٥

ابن السَّائب الكَلْبي ، هشام بن محمد ، ت ٢٠٤هـ/ ٨١٩م .

كتاب الأصْنام/ أبو المنذر هشام بن محمد بن السَّائب الكَلْبى ،
تحقيق أحمد زكى باشا . ـ ط٣ . ـ
القاهرة : دار الكتب المصرية ، ١٩٩٥ .
١١١ ، IV ص ، ٢٨سم .
صفحة عنوان إضافية - Le livre des Idoles *(Kitâb el Aṣnâm)*

مقدمة باللغة الفرنسية

تدمك ٩ ـ ١٥ ـ ١٨ ـ ٩٧٧

٠١ر٩٥٣

فذلكة المضامين

١

التصدير بقلم محقق هذا الكتاب

(وأرقام صفحاته موضوعة فى أسفلها)

صفحة

[يليه فهرس كتاب الاصنام]

كتاب الأصنام لابن الكلبي

(من صفحة ٥ الى صفحة ٦٤)

الملحقات

الفهارس الأبجدية التحليلية

التكملة

تصدير

لكتاب "الأصنام"

بقلم محققه

الأستاذ أحمد زكى باشا

بسم الله الرحمن الرحيم

تصـــدير لمحققه (عن الطبعة الأولى) (*)

كان العِراق فى القرن الثانى والثالث من الهجرة، مزدانا بمدينتين كبيرتين، ناهيك بالكُوفة والبَصرة ! وهما (لعمرى!) شبيهتان بما نراه الآن فى أُكسفورد وكامبريدج من أعمال إنجلترة . فلقد كانت الحاضرتان العربيّتان فى أيام أولئك الغطاريف البهاليل، كعبتيْن للعِلْم والتعليم، يحُجُّهما طالبو النور وجهابذة العرفان : من كل فجٍّ عميق .

وما برِحتِ الكوفة تبارى البَصْرة فى كلّ مضمار، وأهلوهما يتنافسون فى السبق إلىٰ غايات الفَخَار، حتّى طواهما وطواهم الليل والنهار. فلم يبقَ من مآثر القوم إلّا نُتَفٌ مبعثرة من آثار الدّفاتر والأسفار، تُناجى الخلَفَ بما كان للسَّلَف من الفضل الباقى علىٰ مدى الأعصار والأدهار !

ونحن اليومَ — فى مصر — نُحدّث أنفسنا وتُحدّثنا أمانيُّنا بتجديد ذلك العهد المجيد، و"لكل مجتهد نصيب". والله ولىّ الصادقين فى عَزَماتهم، ونصير المخلصين فى نيّاتهم !

(*) العبارات المضافة على تصدير الطبعة الأولى موضوعة بين قوسين مربعين .

* * *

التعريف بابن هشام الكلبى

فمن مفاخر الكوفة مؤلِّف هذا الكتاب .

هو هشام بن محمد بن السائب بن بشر الكلبى ، وكنيته أبو المنـذر ، وآشتهر بآبن الكلبى . أخذ العلم بالكوفة عن أبيـه — وكان من رجالاتها المعدودين — وعن غيره من فحول العلماء وأكابر الرواة المحققين مثل خليفة بن خياط ومحمد بن سعد ومحمد بن أبى السرى ، ومحمد بن حبيب . وكان إليه المرجعُ فى العلم بأيام العرب ومثالبها ووقائعها وتشعّبها فى البلاد . وقد ذهب إلى بغداد واشتهر فضله وحدّث بها .

روايته وحفظه

ولقـد اتفق جميع ارباب الدّراية على القول بأن آبن الـكلبى كان واسع الرواية وأن المأثور عنه شىء كثير[1] .

ولكنه مع ذلك كان لايتهجّم على العلم ولا يرمى القول على عواهنـه . فلا يروى شـيئا لم يبلغه ، بل يقول صريحا "لا أدرى" أو "لم يبلغنى" ونحو ذلك من أساليب العبارة التى نراها فى تضاعيف مصنفاته ، خصوصا هذا الكتاب "كتاب الأصنام" .

النقل عنه

ومن أنعم النظر فى أمّهات الدّواويـن التى وصـلتنا عن أكابر المؤرّخين ، رآها مُفعمة بالنقول الكثيرة المنسوبة إلى آبن الكلبى . مثال ذلك آبن سعد (صاحب الطبقات الكبرى) وأبى جعفر الطبرى (إمام المؤرّخين ، وحجة المصنفين) . فقد أكثرا فى النقل عنه ؛ وحسبك مقامهما بين أهل العلم والعرفان . وهذا الجاحظ يروى كثيرا

---

(١) وآنظر فى ترجمته فى آبن خلِّكان ما رواه من أقوال عمرو بن العاص فى مجلس معاوية .

عنه[1]؛ ومثله المسعودىّ، يعتمد عليه فى كتبه، بل عدّه فى مقدّمة الأخباريّين وأهل العلم بالتاريخ. ثم جرى على هذه السُّنّة طائفةٌ كبيرة من أشياخ الأخلاف، ومنهم ياقوت الحموىّ وعبد القادر البغدادىّ. وكلنا نعرف مكانة هذين الرجُلين من البراعة وطول الباع.

الطعن عليه وعلى أمثاله

على أن هناك فريقا من العلماء — وهم أهل الحديث الشريف — لا يرضَوْن عن ابن الكلبىّ ولا عمن نحا نحوه من التاريخيين والأخباريّين، لا لشىء سوى أنهم تعرّضوا لرواية الآثار دون أن تتوافر فيهم الشروط اللازمة فيمن يتصدّر لإملاء الحديث.

فلا عَجَبَ إذا رأينا هذا الفريق من العلماء يُجرِّحون أولئك المؤلفين ويحطُّون من أقدارهم، لأنهم أقدموا على تدوين الآثار ممزوجةً ببعض الأساطير والأقاصيص.

سببه

هذا — على رأيى القاصر — هو السبب الذى دعا أصحاب الحديث المتفانين فى خدمته، المتعاهدين على صيانته، إلى الطعن على أمثال أولئك المصنِّفين، والتحذير من الأخذ بأقوالهم.

تلك الغيرة المشكورة — ومَن ذا الذى لا يغار على فنّه؟ — هى التى دفعتهم إلى مدافعة كل مَن يتعرّض للأحاديث الشريفة من غير المنقطعين لها، العاكفين على دراستها دون سواها.

ناموسٌ عامّ تتجدّد مظاهره فى جميع المعارف والصِّناعات.

(1) فى كتاب "البيان والتبيين" (ج ١ ص ٥٢ و ١٢٤ و ١٢٦ و ١٢٩ و ١٣٧ و ١٨٢، ج ٢ ص ١٥٤)؛ وفى كتاب "الحيوان" (ج ١ ص ٣٣ و ٣٦، ج ٣ ص ٦٥، ج ٤ ص ١٣٢، ج ٥ ص ١٦٣، ج ٧ ص ١٢).

لذلك نرىٰ أهل الحديث الشريف إذا تقحّم عليهم بابَهُـمْ رجُلٌ من غير عُصْبتهم تنبهوا إليه ونبهوا عليـه ، وبالغوا فى الآحتياط منه حتّى لا يتطرّق إلى الحديث شىء دخيل، دون أن يكون له أصل فيه أصيل . وهم لعمرى معذورون ! فالوضّاعون كثيرون، لم تصدّهم تلك الأسوار ولا هاتيك الحصون. فتسللوا وآندسّوا، ثم دسّوا ودلّسوا، حتّى آختلط اليقين بالظنون. فمن ذا الذى يلوم أهل الحديث على آحتفاظهم به وتوثيقهم له، لكيلا يتطرّق الدّخيل والسقيم، إلى المأثور عن الرسول الكريم، ولئلا يكون الباب مفتوحا لحديث معلول أو لقول غير مقبول؟

وكيف لا يتشدّد أهل السنّة مع أمثال آبن الكلبىّ[(١)]، وهو مشهور عندهم بالرفض وبالغلوّ فى التشيّع[(٢)]؟

لهذا قال السمعانىّ عن آبن الكلبىّ إنه "يروى الغرائب والعجائب والأخبار التى لا أصول لها" . وسبقه الإمام أحمد بن حنبل "صاحب المذهب" فإنه كان يكرهه وقد قال فى حقه : "مَن يحدِّث عن هشام؟ إنما هو صاحب سَمَرٍ ونسب، ماظننتُ[(٣)] أحدا يحدِّث عنه ! " .

هـذا هو القول الفصـل والرأى الصواب . ولذلك نص الذهبىّ فى " طبقات الحفاظ " وصاحب " شذرات الذهب " (نقلا عن صاحب " العِبَر ") علىٰ أنه متروك الحديث، ولكنهما آعترفا بأنه كان حافظا أخباريّا علّامة .

(١) أنظر ترجمته فى " طبقات الحفـاظ " للذهبىّ ، طبع دائرة المعارف النظامية فى حيدرآباد (ج ١ ص ٣١٤)؛ وفى "الوافى بالوفيات" للصفدىّ ؛ وفى "شذرات الذهب" فى حوادث سنة ٢٠٤

(٢) أنظر ترجمته فى "أنساب السمعانى" طبع العلامة مارجوليوث الإنكليزى على الحجر بمدينة لوندرة سنة ١٩١٢ (ص ٤٨٦) .

(٣) أنظر "أنساب السمعانى" فى الموضع المذكور فى الحاشية السابقة ، وآنظر آبن خلكان ، والوافى بالوفيات .

أما يحيى بن معين فكان يحسن الثناء علىٰ هشام ، كما رواه آبن المعتز عن الحسن آبن عُلَيل العَنَزِىّ [1] .

مقامه فى نظرنا

ونحن لا نريد الاعتماد على آبن الكلبىّ بصفته من أهل الحديث ، ولا نقول بذلك . وإنما نعتقد أنه من جهابذة العلماء الذين تفتخر بهم الحضارة العربيّة فى تقييد كثير من الشوارد والأوابد ، وفى تدوين طائفة كبيرة من المعلومات التاريخية والجغرافية ، التى وصل إلينا بعضها فعرفنا به مقدار فضل آبن الكلبىّ فى كل ما تعاطاه وتعاناه .

هذا وأنا لا أدرى كيف أجمع أهلُ الحديث علىٰ تجريح "هشام" مع أنه كان كثير الاحتياط فى نقل الأخبار . يدل علىٰ ذلك مبدؤه الذى كان يعبر عنه بقوله : "الإسناد فى الخبر مثل العَلَم فى الثوب" . ذكر ياقوت هذا المبدأ وعقّب عليه بقوله : "فأما أنا فما زلتُ أُحبُّ الساذَج من كل شىء" [2] .

لا جَرَمَ أننا نَعُدُّه من أركان النهضة الشرقية ، وأساطين العلم وصناديد العِرفان ، ايامَ كانت الحضارة الإسلامية بالغةً ذلك الشأو البعيد ، وذلك الصيت الباقِىَ علىٰ توالى الأيام .

سقطاته

علىٰ أن المؤرّخ أو الأخبارىّ قلّما يخلو من السقطات ، ولا سيما عند ما يتعرّض لرواية الأخبار القديمة . فقد أخذ صاحب الأغانى على آبن الكلبىّ أن الأخبار التى ذكرها عن دريد بن الصِّمّة "موضوعة كلها والتوليد بيّن فيها وفى أشعاره" ثم قال : "وهـذا من أكاذيب آبن الكلبىّ" [3] ثم يعود أبو الفرج ويروى عنه بعض الأخبار ويقول : "ولعل هذا من أكاذيب آبن الكلبىّ" [4] .

---

(١) "الوافى بالوفيات" . (٢) أُنظر "الوافى بالوفيات"

(٣) أُنظر "الأغانى" (ج ٩ ص ١٩ ، ٢٠) . (٤) أُنظر "الأغانى" (ج ١٠ ص ١٥٥) .

حفظه وذهوله

ومع ذلك كله، فقد كان ابن الكلبي أعجوبة فى الحفظ والذكاء. ولكن الأعجب أنه وقع فى الذهول الذى ما زال ملازما لأكابر العلماء، ولأفراد الدهر الذين يمتازون على الدهماء، بإنعام النظر وإدامة التفكير. فقد روى لنا عن نفسه ما نصه :

"حفظتُ ما لم يحفظه أحدٌ، ونسيتُ ما لم ينسه أحدٌ! كان لى عم يعاتبنى على حفظ القرآن، فدخلتُ بيتا وحلفتُ أنْ لا أخرج منه حتّى أحفظ القرآن. فحفظته فى ثلاثة أيام! ونظرتُ يوما فى المرآة فقبضتُ على لحيتى لآخذ مادون القبضة، فأخذتُ ما فوق القبضة!"(1) وكان الخبر يُروى عن أبيه أيضا(2).

ليس بعد ذلك ذهول. لأنه أراد أن يجعل للحيته الطُّول الذى تتوافر به شروط العدالة الشرعية، فقصّها كلها وجعل نفسه موضعا للتهكم والسُّخرِيّة مدّة من الزمن حتّى نبتت لحيته من جديد(3).

(1) أنظر "أنساب السمعانى" وأنظر "ابن خلكان" و "الوافى بالوفيات" وغيره من المؤرخين فى المواضع المذكورة فى إحدى الحواشى السابقة.

(2) "الوافى بالوفيات".

(3) فى مثل ذلك الذهول وقع الجاحظ وهو من آيات الله فى الذكاء. فقد نسى كنيته ثلاثة أيام، واضطر فى آخر الأمر أن يسأل عنها أهل بيته، فقالوا: أبو عثمان! . وهذا الخاقانىّ الوزير العباسىّ (واسمه محمد بن عبيد الله) فقد كان كثير الذهول. كان يدخل إليه الرجل الذى قد عرفه طويلا فيسلم عليه ويسأل عنه فيقال له: هذا فلان، ثم يلقاه بعد يوم فتكون حاله معه مثل حاله الأوّلة. وجلس يوما مع الوزير أبى الحسن على ابن عيسى المعروف بالجرّاح، وكانا فى طيارة [سفينة] فأراد أن يحييه بتفاحة كانت فى يده، وهمّ أن يبصق فى الماء، فبصق فى وجه الجرّاح ورمى بالتفاحة الى الماء، وقال: إنا لله! غلطنا! فقال علىّ بن عيسى: إنّا لله! تُبلطنا (أى لُطِّخنا). (أنظر "تحفة الأمراء فى تاريخ الوزراء" للصابى، طبع الأستاذ أمدروز الإنكليزى بمطبعة اليسوعيين ببيروت سنة ١٩٠٤ – ص٢٧٧، ٢٧٨). هذا، وحوادث الخليل بن أحمد ووفاته أشهر من أن تذكر.

معرفته بالنسب والاعتماد فيه عليه

ومع ذلك فقد كان الرجل آية الآيات فى معرفة نسب العرب، حتّى صار فى زمانه فَرْدا يضرب به المثل[1].

ولقد بلغ من أمره أن القوم كانوا يفزعون إليه فى معرفة أنسابهم أو فى آنتحال الأنساب لهم، إذا كانوا قد نالوا حظًّا من الاشتهار. أذكُرُ من ذلك أن أبا نُوَاس طلب من صاحبنا أن يزجّ به فى نسب بنى مَذْحِج وهدّده إذا لم يفعل، فقال يخاطبه[2]:

أبا منذر! ما بالُ أنساب مَذْحِجٍ * مُرَجَّمَةً دُونِى، وأنت صديق؟
فإن تأتِنى، يأتِكَ ثنائى ومدحتى؛ * وإن تأبَ، لا يُسْدَدْ علىّ طريق!

غيرته على الصدق فيه

ونظير ذلك ما رواه صاحب الأغانى[3] أن بعضهم تقدّم إلى آبن الكلبىّ فى أن يخبر الناس عن الشاعر دعبل أنه ليس من خُزاعة. فقال له: "يافاعل! مثل دعبل تنفيه خزاعة؟ والله! لو كان من غيرها، لرغبت فيه حتّى تدّعيه! دعبل (والله ياأخى!) خُزاعةُ كلها!".

اعترافه بكذبه فيه

على أننا، لو صدّقنا صاحب الأغانى، نرى آبن الكلبىّ يعترف بأنه قد آضطُرّ إلى ركوب متن الكذب. فقد روى عنه قوله: "أول كذبة كذبتها فى النسب، أن خالد بن عبدالله القسرىّ سألنى عن جدّته، أمّ كُرَيز (وكانت أمة بَغِيًّا لبنى أسد، يقال لها زينب)، فقلت له: هى زينب بنت عرعرة بن جَذِيمة بن نصر بن قُعَيْن. فسُرّ بذلك ووصلنى[4].

(١) "صبح الأعشى" (ج ١ ص ٢٧٠) من الطبعة الأولى ببولاق سنة ١٩٠٣، (وص ٣٠٤) من الطبعة الثانية ببولاق سنة ١٣٣١ هـ (سنة ١٩١٣ م).

(٢) "ديوان أبى نُوَاس" (ص ١٤٨) طبع القاهرة سنة ١٨٩٨.

(٣) (ج ١٨ ص ٤٧). (٤) "الأغانى" (ج ١٩ ص ٥٨).

(٢)

فإن صح هذا، كان الخوف من الوالى الجبار، والرغبة فيما عنده من المال، أوقع فى نفس النسّابة من لسان أبى نُوَاس، وما ربما ينظم من الأشعار".

[وقد مدحه ياقوت (1) بقوله: «ولله درّ ابن الكلبى! ما تنازع العلماء فى شىء من أمور العرب إلا وكان قوله أقوى حجة. وهو مع ذلك مظلوم وبالقوارض مكلوم». وكذلك فعل عند كلامه على الحجاز، ورواية ما ذهب اليه ابن الكلبى فى كتاب افتراق العرب عند تحديده جزيرة العرب؛ قال ياقوت (2): «وأحسن من هذه الأقوال جميعها وأبلغ وأتقن قول أبى المنذر هشام بن أبى النصر الكلبى فى كتاب افتراق العرب»].

تضاؤله أمام الهيثم

هذا، وقد روى الجاحظ عن بعضهم أن هشام بن الكلبى كان يأكل الناس أكلا، وكان علّامة نسابة، وراوية للمثالب عيابة؛ ولكنه إذا رأى الهيثم بن عدى، ذاب كما يذوب الرصاص على النار (3). وروى الصَّفَدِىّ فى "الوافى بالوفيات" أن إسحاق الموصلىّ كان على خلاف ذلك إذ قال: رأيتُ ثلاثة يذوبون إذا رأَوْا ثلاثة: الهيثم ابن عدى إذا رأى هشاما الكلبى، وعلّويه إذا رأى مخارقا [المغنّى]، وأبا نواس إذا رأى أبا العتاهية.

سببه

والمعلوم أن ابن الكلبى فى بابه كان أشهر من الهيثم. فإذا اعتمدنا رواية الجاحظ، كان لنا أن نتظنّى أن العلة فى خوف هشام من الهيثم الذى اشتهر بوضع الأخبار والأقاصيص والروايات (4) أن يصنع فيه خبرا يفضحه به فى الأولين والآخرين.

(1) (ج 2 ص 158). (2) (ج 2 ص 205). (3) أنظر "البيان والتبيين" (ج 1 ص 57)، وانظر الرواية وما يلحقها فى "الأغانى" (ج 21 ص 246).

(4) لقد اشتهر الهيثم بن عدى بالوضع والكذب؛ وولد أقاصيص كثيرة عند صنيع داود بن يزيد فى أمر تلك المرأة ما صنع "البيان والتبيين" (ج 2 ص 10). وقد كتب الهيثم بن عدى كتابا فى هجاء الحرث ابن كعب، فما ضعضع ذلك منهم حتى كأن قد كتبه لهم "البيان والتبيين" (ج 2 ص 170). وقد روى الجاحظ عنه حديثا فى كتاب "البخلاء" (ص 243) ثم بادر فعقبه بقوله: "وأنا أتهم هذا الحديث لأن فيه مالا يجوز أن يتكلم به عربىّ. وهو من أحاديث الهيثم".

وكانت وفاة ٱبن الكلبيّ فى سنة ٢٠٤، وقيل سنة ٢٠٦ للهجرة . والأوّل هو الأصحّ (١) . — وفاة ٱبن الكلبىّ

* * *

تصانيف ٱبن الكلبىّ — أما تصانيفه فتبلغ ١٤١ كتابا . وقد أوردها كلها ٱبن النديم فى كتاب الفهرست (٢) . وهى فى أحاديث العرب قبل الإسلام، ثم فى المآثر والبيوتات والموءودات، ثم فى أخبار الأوائل وما قارب الإسلام من أمر الجاهلية، ثم فى أخبار الإسلام والبُلدان والشعر وأيام العرب، ثم فى الأحاديث والأسمار، إلى غير ذلك مما تراه هنالك .

انعدامها — هذه الكتب كلها تقريبا قد ذهبت بجناية الدّهر أو بجريمة الإنسان . فلم يبق من آثار هذا النابغة العربىّ الإسلامىّ الكبير إلا النزر اليسير، من العبارات والروايات التى نقلها بعض المصنفين، وقد أشرنا إلى نفر منهم فى صدر هذا المقال .

الثالثة الباقية منها — ولقد بحثتُ كثيرا فى خزائن القُسطنطينيّة والقاهرة وفى دور الكتب بأوربّة عسانى أظفَر بشىء من مصنّفاته، فلم أجد بعد مازاولته من التحرّى، وما عانيته من التنقيب أثرا لشىء من تصانيفه العديدة المفيدة سوى مختصره الجمهرة فى النسب، وسوى كتابين صغيرين فى الحجم ولكنهما ٱحتويا من العلم على الشىء الجمّ . وهما :

كتاب نسب الخيل فى الجاهلية والإسلام، وكتاب الأصنام .

---

(١) "الوافى بالوفيات" [ونسب القول الأوّل لأبن سعد، والثانى للخطيب البغدادى] ؛ و"شذرات الذهب" (فى حوادث سنة ٢٠٤) .

(٢) (ص ٩٦ — ٩٨) . وقد نشرناها مهذبة فى الملحق الأوّل لهذا الكتاب .

١ ــ كتاب جمهرة النسب

تعريف وجيز بها

هذا الكتاب قد سارت بذكره الركبان، وعليه تعويل أهل العلم بالأنساب؛ بل هو الذى خلّد لمؤلفنا صيتا لا تمحوه الأيام. ومع ذلك كله، فلم يبق منه سوى قطعة صغيرة تتألف من ١٣ ورقة. وهى محفوظة فى دار الكتب الأهلية بمدينة باريس، بخط كوفى مشابهٍ لما كان شائعا فى أواخر القرن الثانى من الهجرة [(١)]. أفرأيتَ كيف تناولت العوادى ذلك الكتاب البديع الذى هو المصدر الوحيد لكل من كتب فى نسب العرب، مثل ابن حزم الظاهرىّ الأندلسىّ وغيره ممن أتى بعده من الشيوخ المحققين والعلماء الراسخين ؟

بقاياها

نعم إنه يوجد منه فى خزائن لوندرة بعض مخطوطات؛ ولكنها كلها سقيمة عديمة القيمة؛ حتى ذلك الذى يعتبره العلماء منقولا عن النسخة المحفوظة فى قصر الإسكوريال بالقرب من مدريد عاصمة إسبانيا [(٢)].

اهتمام المستشرقين بها

ولقد اهتم العلماء المستشرقون بذلك الكتاب الباقى فى أرض الأندلس فرحل رجل من أفاضلهم (وهو العلامة بكّر C. H. Becker) ليتوفر بنفسه على نسخه، وليهتمّ بطبعه بما يستحقه من العناية والإتقان. ولكنه بعد أن أنضى ركاب الطلب، وتجشم ما تجشم من التعب، رضى من الغنيمة بالهرب. لأنه تحقق أن الكتاب ليس لابن الكلبىّ،

(١) تحت رقم ٢٠٤٧ وهى عبارة عن رقوق، طول الرق الواحد منها ٢٢ سنتيمترا وعرضها ٢٩ سنتيمترا ونصف وفى كل رق منها ١٣ الى ١٥ سطرا (عن البارون دوسلين واضع فهرست المخطوطات العربية المحفوظة بدار الكتب الأهلية بمدينة باريس).

(٢) أنظر كتاب بروكلمن (Brockelmann) فى أدبيات اللغة العربية (وهو مكتوب بالألمانية).

وأنه فوق ذلك مبتور ومشحون بالأغاليط التى يرتكبها النساخون المساخون فتتراكب كظلمات بعضها فوق بعض . وقرر أنه ليس فى الإمكان آستخدامه للطبع علىٰ أىّ وجه كان ، لأنه عبارة عن خلاصة وجيزة جدًا لكتاب الجمهرة (1) ، الذى مازال العلماء يقتصُّون أثره ، و يتقصّوْن خبره .

اختصار ياقوت لها

علىٰ أن ياقوتا الحموىّ (طيّب الله ثراه !) قد آختصر الجمهرة فى كتاب سماه "المقتضب من كتاب جمهرة النسب" . وذيّاك المختصَرُ حفظت لنا الأيام منه نسخة مخطوطة فى دار الكتب المصرية بالقاهرة . لكنها تطاير مدادها الآن فى كثير من المواضع ، كما أن الرطوبة قد ذهبت بجزء عظيم من سطورها ومن كلماتها ، خصوصا فى أسفل الصفحات (2) .

٢ — كتاب أنساب الخيل

أما كتاب أنساب الخيل فقد تمّ لى طبعه فى هذه الايام [وأضفت اليه قاموسا شاملا لكل ما آطلعتُ عليه فى كتب العلم ودواوين الأدب وأضفت كل قول الى قائله ، بعد التمحيص والتحقيق] (وآنظر كلامى عليه فى أوّل التصدير الذى كتبته عنه هناك) .

(١) اُنظر الرسالة التى كتبها العلامة بِكّر على ذلك ونشرتها "المجلة الألمانية للباحث المشرقية" سنة ١٩٠٢ (ص ٧٩٦ — ٧٩٩) .

(٢) وعدد أوراقها ١١١ . وهى محفوظة تحت رقم ٧٥٣٥ عمومية وتحت رقم ١٠٥م تاريخ . وأصلها من مجموعة المرحوم مصطفى فاضل باشا منتقلة إليه عن "ملك ولىّ النعم الحاج ابراهيم سرعسكر" أعنى بطل مصر الشهير وآبن محمد على الكبير . على أن العلامة بكّر الألمانىّ المذكور قبل هذا يظن أن هذه النسخة ليست هى "المقتضب" لأن الترتيب فيها مخالف للذى فى "كتاب الفهرست" وللوارد فى النسخة التى رآها بالأندلس وشرح لنا أحوالها .

٣ – كتاب الأصنام

تطهير أرض العرب من الاصنام

ظهر الإسلام فى بلاد العرب، فكان همّه الأوّل تطهيرَ ربوعها من الشّرك بالله، ومَحْوَ كلّ أثرٍ لعبادة الأصنام والأوثان. حتّى إذا فاز القائم بالدّعوة إلى التوحيد، بكل مايريد، وجمع كلمة العرب على الدين الجديد، وانتقل عليه الصلاة والسلام إلى الرفيق الأعلى، ارتدّ كثير من الأعراب إلى الطواغيت وعباداتهم الأولى. حينئذٍ تجرّد لهم خليفته أبو بكر الصدّيق فأعادهم إلى حظيرة الإيمان.

تحاشى الصدر الأوّل من البحث فيها

لذلك كان المسلمون، من أهل الحُكم أو من أرباب العلم، يتحاشَوْن فى أول الأمر ذكر الأصنام والأوثان لقرب عهد القوم بها وابقيتها فيهم وفى صدور الكثير منهم، لكيلا يثيروا فى نفوس العامّة ما ربّما يكون عالقا بها من الحميّة الأُولى، حميّة الجاهلية، فيعود الأمر إلى الضلال القديم.

هذا هو الذى دعا الخليفة الثانى (عمر بن الخطاب) لقطع الشجرة التى بايع النبىّ (صلى الله عليه وسلم) أصحابه "بيعة الرضوان" تحتها، لأنه رأى من تعظيم المسلمين لها، ماجعله يخشى أن تكون فتنة لهم على تمادى الزمان.

مبدأ الاشتغال بها

حتّى إذا مارسخت قدمُ الإسلام، وتوطّدتْ أركانه، وثبت بنيانه، لم يبق بعدُ مجالٌ للخوف من الرجوع إلى الشرك بالله. فلما زالت العلّة وانحسمت مادّة ذلك الخوف، حينئذ توفر العلماء على تلقف الروايات من هنا ومن هنا، فجمعوا كل ماوصل إليهم من المعلومات الباقية عن تلك الديانات القديمة، كما تجرّدوا من جهة أُخرى لالتقاط مابقى من أشعار الجاهلية وعاداتهم، وأحوال معيشتهم، وكل مايتعلق بحياتهم الأدبية والاجتماعية.

ذكرها فى التأليف العامة

فكان محمد بن إسحاق (صاحب المغازى والسِّيَر، المتوفَّى فى أواسط القرن الثانى للهجرة) أوّل مَن ألمّ بشىء من أمر عباداتهم القديمة. ولكنّ كتابه فى السيرة[1] ضاع من الوجود، أو هو لايزال مطويا فى ضمير الدّهر إلىٰ هذا العصر.

لكن آبن الكلبىّ (المتوفَّى بعد آبن إسحاق بنصف قرن تقريبا) كان أوّل مَن أفرد لهذا الموضوع سفرا خاصا به، أسماه كتاب الأصنام.

ومن ذلك العهد أقدم علماء الإسلام على الدخول فى غمار هذا الموضوع، فألّفوا فيه كتبا لم يصلنا منها شىء، سوىٰ أسمائها التى أنبأنا بها آبن النديم فى كتاب الفهرست، وياقوت الحموىّ فى معجم الأدباء.

كتاب آبن فضيل فى الاصنام

فمن ذلك أن الكاتب أبا الحسن علىّ بن الحسين بن فضيل بن مَرْوان (وأصله فارسىّ) له "كتاب الأصنام"[2] وما كانت العرب والعجم تعبد من دون الله تبارك آسمه.

كتاب الجاحظ فيها

وللجاحظ كتاب فى هذا الموضوع سماه "كتاب الأصنام". ذكره فى مقدّمة كتاب "الحيوان" وعرفنا بموضوعه، كما أن الدميرىّ ـ صاحب حياة الحيوان ـ نقل عنه شيئا أثناء كلامه على "القرش" فى حرف القاف. [وقد أبدع الجاحظ فى كتابه كما يقول الآلوسىّ].

(١) جاء عبد الملك بن هشام فآختصر "السيرة النبوية" التى ألفها آبن إسحاق، وحفظ لنا فيها بعض البيانات عن عبادة الأصنام والأوثان. ثم أتى السهيلى الأندلسىّ (المتوفَّى سنة ٥٨١) وأبو ذر الخشنىّ (فى سنة ٧٧٠) ففسرا بعض ما فى "سيرة" آبن هشام من الغريب وأضافا شيئا من التفاصيل الخاصة بعبادة الأصنام نقلا عما ورد فى كتب العلماء، مشتتا مبعثرا.

(٢) ذكره آبن النديم فى "كتاب الفهرست" (ص ١٢٥) ثم ذكره ياقوت فى معجم الأدباء (ج ١ ص ١٣٢)، وسماه "الرّد علىٰ عبدة الأوثان".

كتاب البلخى فيها

ثم جاء فيلسوف الإسلام أبو زيد البلخى" فألف كتابا فى الرد على عبدة الأصنام[1] . [وفى تاريخ مكة للأزرقى" تفصيل كيفية عبادة العرب للأصنام على أتم" وجه] . [وكتب السيرة النبوية كلها لا تخلو عن شيء من ذلك] .

* * *

كتاب ابن الكلبى وعناية العلماء به

أما كتاب ابن الكلبى" الذى وفقنا الله اليوم لإخراجه للناس، فكان له حظ وافر من عناية العلماء المحققين . ذلك أنهم تدارسوه وتناقلوه على طريقتهم القديمة القويمة فى التلقى والرواية، وثقفوا كلماته، وضبطوا رواياته، وعلقوا عليه كثيرا من الحواشى والتفاصيل .

ومع ذلك فقد انقطع خبره، وامحى أثره !

نسخة الجواليقى

نعم إن ياقوتا الحموى" وقعت إليه نسخة منه بخط الإمام الجواليقى" المشهور[2]، فنقل معظمها فى "معجم البلدان" وأورده متفرقا فى كتابه حسب ما يقتضيه ترتيب حروف الهجاء . وسيأتى الكلام على هذه النسخة فيما يلى من السطور .

ولا بد أن تكون هذه النسخة (أو غيرها) وقعت أيضا للشيخ عبد القادر بن عمر البغدادى"، فنقل عنها كثيرا فى كتابه المشهور بـ "خزانة الأدب". ولكنه لم يذكر لنا شيئا عنها ولا عن أصلها .

ثم جاء الأستاذ السيد محمود شكرى الآلوسى" — علامة العراق فى عصرنا هذا[3] — فنقل أشياء عن كتاب الأصنام لابن الكلبى" فى كتابه الموسوم " بلوغ الأرب فى أحوال

---

(١) أنظر "كتاب الفهرست" (ص ١٢٥)، و"معجم الأدباء" لياقوت (ج ٥ ص ١١٢) . وليس لدينا معلومات أخرى عن وجوده أو عن الخطة التى اتبعها فى تأليفه .

(٢) أنظر ترجمته فى الملحقات . (٣) [وقد فقده العلم والعلماء توفى الى رحمة الله فى شهر ذى القعدة سنة ١٣٤٢ هجرية (شهر يونيو سنة ١٩٢٤ م)] .

العرب" . وعنــدى أنه آكتفىٰ بالنقل عن صاحب "خزانة الأدب" مع نقص وزيادة بحسب ما آقتضاه تأليفه . وهذه الزيادات مأخوذة فى الغالب عن مواضع أخرىٰ من كتاب البغدادىّ[1] أو عن كتاب "إغاثة اللهفان"[2] لآبن قيّم الجوزية .

وعلىٰ كل حال فالنسخة التى لاشك فى أن البغدادىّ قد آستخدمها ، لم يصل إلينا خبر عنها إلى الآن .

[وقد أشار ياقوت[3] إلى نسخة من هذا الكتاب بخط أحمد بن عبيدالله بن محجج النحوى"، وكذلك صاحب تاج العروس يشير الى استخدامه نسخة جيدة منه ويسميها فى بعض المواضع "تنكيس الأصنام"] .

النسخة الوحيدة المعروفة الآن

وأما النسخة الوحيدة التى لا يوجد غيرها فى العالَم — علىٰ ما أعلم — فهى التى دخلت فى نوبتى منذ بضعة أعوام بطريق الشراء من البحّاثة النقّابة الشيخ طاهر الجزائرى ، ذلك المولع بالكتب المتفانى فى جمعها من الآفاق . [وقد فقــده العلم والعلماء توفى الى رحمة الله فى سنة ١٣٣٨ هـ — سنة ١٩٢٠ م] .

هذه النسخة أصبحت درّة ثمينة فى "الخزانة الزكيّة" التى وقفتُها علىٰ أهل العلم [وهى الآن بقبــة الغورى] بالقاهرة ، وهى التى آستخدمتها لطبع هذا الكتاب ،

(١) وقد كتبت إليه مستفهما عما إذا كان آستخدم "كتاب الأصنام" مباشرة أم آكتفىٰ بالأخذ عمـا ورد فى "خزانة الأدب" . ولكن لم يردنى منه جواب عن ذلك . فلذلك قارنت بمزيد التدقيق كل ما أورده هو بمـا جاء فى "الخزانة" عن آبن الكلبى ، فإذا العبارة واحدة ، سوىٰ أن الآلوسىّ قد آختصرها فى مواضع قليلة جدًا وأضاف إليها تلك الزيادات التى تكلمت عنها . فتأكدتُ أنه لم ينقل عن آبن الكلبىّ مباشرة ، إذ لم يرد عنده شىء ممـا أغفله البغدادىّ فى "خزانته" .

(٢) دون مراجعة النسخة المطبوعة فى القاهرة سنة ١٣٢٠ هـ . وقد آكتفيتُ بالآعتماد علىٰ ما رواه السيد الآلوسىّ . (٣) (ج ٣ ص ٤٩٥) .

ونقلت عنها راموزين[1] (Fac-Simile) بالفتوغرافية ليكون عند كل إنسان صورة من الأصل النفيس، تكاد تكون هى وهو شيئا واحدا .

***

الوزير المغربى وهذا الكتاب

تقدّم لى القول بأن علماء الإسلام كانت لهم عناية خاصة بهذا الكتاب . وانت ترى ذلك فى الحواشى التى علقتها عليه، ولكننى أخص بالذكر منهم الوزير المغربى المتوفى سنة ٤١٨ . وهو أبو الحسين بن علىّ بن حسين، ويعرف بأبى القاسم وبابن المغربى، وآشتهر بالوزير المغربى .

تعريف بالوزير المغربى

هذا الرجل الكبير، المنقطع النظير، الجدير بالإعجاب ، كان من دواهى السياسة وأقطاب الزمان . وقد حلب الدهر أشطره ، وذاق حُلْوه ومُرّه ، وعاندته الأيام وعاندها، وعاكسته الأقدار وعاكسها . فبينما هو فى أوج الجلالة، إذا هو شريد طريد لا يستقرّ على حال ، حتى إذا صافاه الزمان، عاد لمعاداته، وإذا خضع له الناس رجعوا لمناوأته، فكان شأنه غريبا وأمره عجيبا . وحسبنا أن نقول إنه تصدّى للحاكم بأمر الله (الخليفة الفاطمى) وإنه سعى فى قلب دولته . ولا أُطيل بشرح أحوال هذا الباقعة فقد تكفل آبن خلكان بترجمته . ولكن الذى يهمنا ، معاشرَ أهل الأدب، هو أن هذا الرجل كان يجد مع ماهو فيه من البلابل والمشاغل وقتا كافيا لدراسة العلم وتحريره وتدوينه، وأنه صنف طائفة من الكتب الممتعة النادرة، وأنه أكمل "كتاب الفهرست" الذى ألفه آبن النديم[2]، وألف كتابا آختاره من الأغانى[3]،

(١) أنظرهما فى خاتمة هذا التصدير (ص ٤١ وص ٤٣) .

(٢) "معجم الأدباء" (ج ٦ ص ٤٦٧) . (٣) أنظر "كشف الظنون" .

وأن أقواله وتحقيقاته ممـا يحتج بها أكابر المصنفين[1] . ونحن نرىٰ علىٰ هامش كتاب الأصنام الذى نحن بصدده تحقيقات كثيرة لهذا الوزير العالم . وهى تدل علىٰ عظيم فضله وغزير علمه .

***

سلسلة الرواة لهـذا الكتاب

وصل إلينا هذا الكتاب بالسند المتصل عن آبن الكلبى نفسه علىٰ يد سلسلة من جهابذة العلماء تبتدئ فى سنة ٢٠٤ وتستمرّ إلىٰ ما وراء سنة ٤٩٥ . وأسماء هؤلاء العلماء واردة فى السند الذى فى فاتحة الكتاب . وقد بحثتُ عنهم حتّى آهتديتُ إلىٰ ترجمة طائفة منهم فنقلتها فى آخر هذه الطبعة، لبيان مكانتهم بين أرباب العلم وأهل التحقيق . نقلت هذه التراجم عن كتاب لا يزال مجهولا وإن كان مؤلفه من أعلام الأعلام . وهذا الكتاب هو "إنباه الرواه، علىٰ أنباه النحاه"[2] للوزير المشهور بالقاضى الأكرم، المعروف "بابن القفطى" نسبة إلىٰ مدينة قِفْط من صعيد مصر .

***

تحقيق فى رواة هذا الكتاب، والراوى الأخير له

ولا بدّ لى من البحث قليلا فى رجال السند الذين وصل لنا عنهم هذا الكنز الثمين . فأول من قرأه على آبن الكلبىّ نفسه (فى سنة ٢٠١ للهجرة) هو أبو الحسن علىّ آبن الصباح بن الفرات الكاتب، وهو الذى أوصله إلىٰ من بعده من الأشياخ الذين

(١) كما يرىٰ ذلك كل من يتصفح المعضلات اللغوية التى فى "تاج العروس" وفى مواضع كثيرة من "تراجم الأدباء" لياقوت .

(٢) وجدتُ كتابه فى خزانة طوب قپو بالقسطنطينية، وهى التى أسميها بالخزانة السلطانية . فنقلته بالتصوير الشمسىّ، وهو الآن مودع فى "دار الكتب المصرية" يتأتى لكل إنسان الآستفادة من ثمراته بعد أن كان فى حيز العدم . ومما يجب التنبيه إليه فى هذا المقام أنى عثرتُ علىٰ نسخة أخرىٰ منه فى خزانة أسعد أفندى الثانى بمدينة القسطنطينية أيضا، ولكن هذه النسخة لا تحتوى علىٰ غير النصف الأخير من هذا الكتاب النفيس .

تنتهى سلسلتهم بآبن الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفىّ . وعنه نقله إلينا ذلك الذى يبتدئ أوّل كلمة منه بقوله : "أخبرنا ... ... قرئ عليه وأنا أسمع" .

فمن هو هـذا المتكلم المجهول ، الذى يرجع إليه الفضل فى إسداء هـذا الجميل وآصطناع هذا المعروف؟

لا ريب عندى فى أن هذا المتكلم هو الإمام الجواليقىّ ، الذى روىٰ لنا أيضا "أنساب الخيل" لآبن الكلبىّ ، وروىٰ لنا فوق ذلك طائفة كثيرة من دواوين الأدب .

وبيان ذلك :

إن أبحاثى المتواصلة فى هذا الموضوع قد هدتنى — بعد مراجعة المظانّ ومساءلة المؤلّفات التى يصح الركون إليها فى مثل هذا الشأن — إلىٰ أن الإمام الجواليقىّ كانت له عناية خاصة بما صدر عن آبن الكلبىّ من الروايات والتآليف ، خصوصا بهذا الكتاب "كتاب الأصنام" . فقد تلقّى هذا الكتاب عن أشياخه بالسند المتصل إلىٰ علىّ بن الصباح بن الفرات . ثم نقله عن نسخةٍ مكتوبة بخط رجل آخر من بنى الفرات ، قد آشتهر بالعلم والأدب وبالأمانة والصدق والصحة ، وأعنى به أبا الحسن محمد بن العباس بن الفرات[1] . ثم عاد الجواليقىّ فكتب عن نسخة نفسه المذكورة نسخة ثانية .

فأما الأوّلة ، فهى التى أشار إليها الجواليقىّ فى خاتمة هذا الكتاب بقوله "نسختى التى نقلتها من خط محمد بن العباس بن الفرات[2]" . ولم يذكر لنا هنا تاريخ آنتساخه

(١) المتوفىٰ سنة ٣٨٤ للهجرة ، كما فى "طبقات الحفاظ" للذهبىّ .
(٢) أنظر (س ٥ من ص ٦٤) من هذه الطبعة .

لهـا ، ولكن ذلك كان علىٰ كل حال قبل سنة ٥٢٩ . ولا شك عندى فى أن هذه النسخة الأولة هى التى ٱستخدمها ياقوت أثناء تأليفه "معجم البلدان" حيث يقول: "ووجدناه فى كتاب الأصـنام بخط ٱبن الجواليقى الذى نقله عن خط ٱبن الفرات وأسـنده إلى ٱبن الكلبى"(١) . فإن ذلك الوصف مطابق من كل الوجوه لأحد النصوص(٢) الواردة عن الجواليقى فى آخر كتابنا هذا .

وأما النسخة الثانية ، فهى التى نقلها الجواليقى أيضا عن نسخته الأولة المذكورة قبل . وقد نص علىٰ ذلك صريحا فى خاتمة هذا الكتاب بقوله : "نقلته من نسختى التى نقلتها من خط محمد بن العباس بن الفرات ... آلخ"(٣) . وقد عرّفنا بالتاريخ الذى كتب فيه هذه النسخة الثانية ، وهو سنة ٥٢٩ . ثم عرفنا بأنه عارض هذه النسخة الثانية فى تلك السنة بعينها مع ولده إسماعيل (وهو أسن(٤) أولاده) و بسماع ولده الثانى ، إسحاق .

وهـذه النسخة هى الأمُّ التى صدرت عنها نسخة "الخزانة الزكية"(٥) . لأن كاتبها يخبرنا فى آخرها بأنه نقلها من نسخةٍ بخط الجواليقى (أى الثانية لأنها تتضمن إشارة إلى النسخة الأولة كما سبق بيانه) .

---

(١) "معجم البلدان" (ج ٣ ص ٩١١) .
(٢) أنظر (س ٥ من ص ٦٤) من هذه الطبعة .
(٣) قال ياقوت إن ٱبن الجواليقى حجة ثقة ينقل كثيرا عن ٱبن الفرات "معجم البلدان" (ج ١ ص ٨٧٩)
(٤) أنظر ترجمة الجواليقى وٱبنه فى الملحقات .
(٥) وكان من فضل الله على "الخزانة الزكية" أن كاتب هذه السطور قد دخلت فى نوبته تلك النسخة الوحيدة التى ليس لها ثان معروف فى مشارق الأرض ومغاربها .

فمن تلك البيانات يسوغ لنا أن تقول بأن راوى هذا الكتاب هو الجواليقى ولكننا نشفع هذا القول بدلائل تؤيده وتؤكده .

وتفصيل ذلك :

إن سلسلة الرواية الواردة فى صدر الكتاب تبتدئ فى سنة ٢٠١ (أى قبل وفاة المؤلف بثلاث سنين) وتنتهى فى سنة ٤٦٣ (وهى السنة التى أخبر فيها ٱبن المسلمة بهذا الكتاب الشيخ ٱبن الصيرفى، كما هو منصوص عليه صريحا فى صدر الكتاب). وحينئذ فلا مندوحة من القول بأن ٱبن الصيرفى أسمع هذا الكتاب ورواه بعد تلك السنة لذلك الذى يتكلم عن نفسه مبتدئا بقوله "أخبرنا" .

فلأجل معرفة هذا المجهول واستخراج الضمير بطريق معقول مقبول يجب علينا أن نرجع إلى آخر الكتاب لنرى هنالك نصا آخر يتممه ويكمله بحيث يتقوّى عندنا هذا التخمين، ويكون بمثابة اليقين، إن لم يكن هو عين اليقين .

وذلك أن الجواليقى يعرّفنا فى أوّل الكتاب بأنه سمعه على ٱبن الصيرفى بقراءة رجل لم يسمه هناك . ولكن الجواليقى حينما فرغ من ٱنتساخ الكتاب، رأى أن يتدارك ما أهمله فى أوّله من حيث الإشارة إلى نفسه وإلى ٱسم ذلك القارئ، فلذلك كتب بخطه فى آخر نسخته الثانية عبارة، جزى الله ناقل نسختنا أحسن الجزاء على إبلاغها لنا، وهى تفيد بطريق الجزم والتحقيق أن ٱبن الجواليقى سمع هذا الكتاب من أوّله إلى آخره بقراءة الشيخ أبى الفضل محمد بن ناصر بن محمد بن على، وأن محمد بن الحسين الإسكاف كان يسمع معه أيضا . وأن ذلك السماع كان فى شهر المحرّم سنة ٤٩٤ .

وقد علمنا من أوّل السلسلة أن المسموع عليه هو آبن الصيرفىّ .

وحينئذ فنكون قد وصلنا إلى النقطة التى فيها وبها حلّ هذه العقدة . ذلك لأن سنة ٤٩٤ هى محكّ التحقيق ومفتاح البيان . فإن كان هؤلاء الرجال كلهم كانوا موجودين فى هذه السنة بحيث يكون آبن الصيرفىّ أكبرهم عمرا وأعلاهم سنا، فقد ثبت المطلوب ووضح البرهان ووصلنا إلى عين اليقين .

(أ) أما آبن الصيرفىّ، فقد ورد آسمه فى أوّل سلسلة رواتنا هكذا « الشيخ أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفىّ » . وهو هو الذى ذكره آبن الأثير فى "كامل التواريخ" وآستوفى نسبته ، أى « أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار آبن الصَّرِد المعروف بآبن الطُّيُورىّ الخانوقىّ الصيرفىّ البغدادىّ » . وقال آبن الأثير : إن وفاته كانت فى سنة ٥٠٠ للهجرة . فلو رجعنا إلى سلسلة الرواة ، نجده قد سمع هذا الكتاب فى سنة ٤٦٣ عن آبن المسلمة فيكون بين تاريخ سماعه وبين تاريخ وفاته مدّة تعادل ٣٧ سنة تقريبا ؛ ويكون بين تاريخ إسماعه للجواليقىّ بقراءة أبى الفضل وسماع الإسكاف فى سنة ٤٩٤ وبين تاريخ وفاته مدّة تعادل ست سنين بالتقريب .

(ب) أما الجواليقىّ فقد كانت ولادته فى سنة ٤٦٦، ووفاته فى سنة ٥٣٩ (١) فيكون عمره حينما سمع هذا الكتاب على آبن الصيرفىّ فى سنة ٤٩٤ قد بلغ ٣٠ سنة . وهو سن التحصيل الصحيح، فضلا عن أنهم كانوا فى ذلك العصر الزاهر مقبلين على العلم

(١) أنظر ترجمته فى الملحقات عن القفطىّ . وآنظر أيضا "نزهة الألباء" للانبارى، وآنظر "الوفيات" لآبن خلكان . ولا عبرة بما ورد فى النسخة المطبوعة من "بغية الوعاة" للسيوطىّ، لأنه لا جدال فى أن الناسخ قد أهمل، حيث ذكر سنة الميلاد باعتبار أنها سنة الوفاة . وقد تفطّن طابع "بغية الوعاة" إلى ذلك، فأشار فى الحاشية إلى الصواب .

يطلبونه من المهد إلى اللحد. ويكون الجواليقىّ قد اعتنىٰ بهذا الكتاب فنقله مرة أوّلة من خط محمد بن الفرات فى سنة لم يعينها لنا، ثم سمعه عن أشياخه عن علىّ بن الصباح ابن الفرات عن ابن الكلبىّ، ثم عاد فنقل عن نسخته تلك نسخةً ثانيةً فى سنة ٥٢٩، أى قبل وفاته بعشر سنين. فتكون عنايته بهذا الكتاب ممتدّة من سـنة ٤٩٤ إلىٰ سنة ٥٢٩، أى مدّة تقارب ٣٥ سنة.

(ج) أما محمد بن ناصر (الذى قرأ هذا الكتاب على ابن الصيرفىّ، بسماع الجواليقىّ)، فقـد كان مولده فى سنة ٤٧٦، ووفاته سنة ٥٥٠. فكان موجودا فى سنة ٤٩٤، أى فى الوقت الذى نسب فيه الجواليقىّ إليه قراءة "كتاب الأصنام" على ابن الصيرفىّ.

فثبت من ذلك:

أوّلا — إن سلسلة الرواية التى فى صدر هـذا الكتاب تبتدئ من سـنة ٢٠١ وتمتدّ إلىٰ سنة ٤٦٣ ثم إلىٰ سنة ٤٩٤ للهجرة.

ثانيا — إن الجواليقىّ كتب منه نسختين، لم يعين لنا تاريخ الأوّلة، وأما تاريخ الثانية فقد نص علىٰ أنه كان فى سنة ٥٢٩.

ثالثا — إن النسخة التى دخلت فى "الخزانة الزكية" منقولة بعناية تامة عن النسخة الثانية للجواليقىّ؛

رابعا — إن الإمام الجواليقىّ هو الذى يحدّث عن نفسه فى المحرّم سـنة ٤٩٤ بقوله فى أوّل الكتاب: "أخبرنا الشيخ أبو الحسين المبارك بن عبد الجبار بن أحمد الصيرفىّ قرئ عليه وأنا أسمع".

خامسا — إن القارئ الذى يشير إليه الجواليقىّ فى العبارة المتقدّمة هو محمد بن ناصر السلامىّ، وكانت قراءته بحضور محمد بن الحسين الإسكاف .

والنتيجـــة

أننا يصح لنا أن نعتبر كأنّ نسختنا مصدّرة بهذه الجملة التى جرى السلف على آستعمال نظائرها فى هذا المقام، وهى :

"قال موهوب بن أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقىّ : أخبرنا الشيخ أبو الحسين ... ... الصيرفىّ بقراءة يحيى بن ناصر... ... السلامىّ عليه وأنا أسمع بحضور محمد آبن الحسين الإسكاف".

***

تنقيب العلماء العصريين عن هذا الكتاب

هـذا . وقد طالما نقب المستشرقون فى خزائن الكتب بأوربة وببلاد المشرق عساهم يظفرون بنسخة كاملة (صحيحة أو سقيمة) من هذا الكتاب. ولكن مساعيهم ذهبت أدراج الرياح، وبقيت مباحثهم عقيمة إلى الآن. فلما أعياهم الطلب، رجعوا إلىٰ ياقوت (رحمه الله رحمة واسعة) وإلى الشيخ عبد القادر بن عمر البغدادىّ (أسكنه الله فسيح جنانه) وإلى آبن هشام (رضى الله عنه)، فتلقفوا ما أوردوه من روايات الكلبىّ وأقواله عن الأصنام .

كتاب العلامة ولها وزن الألمانىّ على الأصنام وبقايا الوثنية عند العرب

وكان الذى تكفل بذلك وتوفر علىٰ جمع تلك المواد المبعثرة فى "معجم البلدان" وفى "خزانة الأدب" هو العلامة ولهاوزن Wellhausen الألمانىّ. فألف فى عبادة الأصنام والأوثان عند العرب كتابا ضخما باللغة الألمانية، وضمنه كثيرا من المباحث التى لها علاقة بهذا الموضوع، معتمدا علىٰ ما أورد علماء الإسلام الكرام. فما كاد كتابه

المتبع يظهر فى الوجود حتّى تناهبه القوم، ونفدت طبعته الأولىٰ . فأصدر منه طبعة ثانية (مصححة ممحصة) كان لها مثل سابقتها من الرواج والنجاح .

أطلاعى عليه بالواسطة

أما أنا، فقد ترجمت بعض فصوله الى اللغة الفرنسية علىٰ يد أحد أصدقائى الألمانيين[1] (وهو الدكتور برونله Brönnle) لكى أقف علىٰ ما قاله ذلك البحاث . فوجدته — والحق يقال — قد آستوفىٰ بحثه وآستكمل أسانيده . ولا غبار عليه فى الهفوات التى ترجع إلى النسخة المطبوعة من كتاب ياقوت . فإن ناسخه آرتكب كثيرا من وجوه الخطل فأوقع فيها ناشره[2] . وقد نبهت علىٰ ذلك فى كثير من الحواشى التى وضعتها فى أسفل هذا الكتاب . ولكن ذلك لا يغض من فضل العلامة ولهاوزن المذكور، ولا من قدر المنن الجسام التى لطابع ياقوت فى أعناق العرب والمشتغلين بمعارف العرب وأعنى به العلامة البحاثة النقّابة وستنفلد الألمانى F. Wüstenfeld الذى يحلُولى (بصفتى من أبناء الشرق العارفين أقدار الرجال) أن أسطر له على الدوام آيات الشكر والثناء لخدمه للشرقيين والمستشرقين وتوفره علىٰ إحياء كثير من مآثر العرب ولانقطاعه لتلك المباحث الطنانة التى رفعت ستار الإبهام عن كثير من المعضلات العلمية والأدبية والتاريخية .

الاستاذ نولدكه الألمانى وكتاب آبن الكلبى

علىٰ أن الخدمة التى أدّاها العلامة ولهاوزن، صاحب المساعى المشكورة فى هذا الباب، لم تكن وافية بكل المرام لدىٰ رجل من أكبر كبراء الألمان المشتغلين بعلوم

(١) والترجمة محفوظة بخزانتى الزكية بخط المترجم، ومنها نسخة أخرى مكتوبة بالآلة .

(٢) [وقد تولى العلامة وستنفلد بيان الروايات المختلفة فى النسخ المتعددة وأورد ذلك فى قائمة التصحيحات دون أن يحكم أو يرجح بل أورد الغث والسمين ووضع سخافة الناسخين بجانب الجواهر الثمين] .

العرب ومعارفهم وأعنى به الأستاذ نولدكه Nöldeke الموجود الآن بمدينة ستراسبورغ، وقد نيف على السابعة والسبعين ، وله بين المستشرقين أعلىٰ مكانة وأفضل مقام. فهذا الرجل (الذى أرجو الله أن يمدّ فى حياته) مازال مشغوفا بتطلب نفس كتاب الأصنام، ومازال يحلم به فى اليقظة والمنام، ويجاهر أمام أصدقائه وتلاميذه وأولاده بأنه لا يريد أن يفارق الحياة حتّى يرىٰ بعينى رأسه هذا الكتاب "كتاب الأصنام" . فلما علم بأنى عثرت علىٰ هذه الضالة المنشودة واصطدت تلك الدرّة الثمينة، توسل إلىّ بواسطة صديقه وصديق السويسرىّ الأستاذهيس Hess ، المشهور عند أهل الأدب بالقاهرة شهرة لا يضارعها سوىٰ صيته البعيد لدى المستشرقين بكافة أنحاء أوربة . فأرسلت إلىٰ ذلك العاشق المتيم الولهان صورة فتوغرافية من هذا الكتاب .

*
* *

كتاب الأصنام فى مؤتمر المستشرقين بأثينة

ولقد اغتنمت فرصة وجودى بمؤتمر المستشرقين الدولىّ المنعقد فى إبريل سنة ١٩١٢ بمدينة أثينة ، رئيسا للوفد الذى بعثته الحكومة الخديوية المصرية ، فكاشفت العلماء بهذه الذخيرة، وأطلعتهم على هذا الكتاب وتكلمت عنه فى خطبتى وقلت فيها ما معناه : علىٰ أنى لا أودّ إظهار هذا الكتاب إلى الوجود لأن الأستاذ نولدكه Nöldeke قال بأنه لا يريد أن يموت أو يرىٰ كتاب الأصنام . وأنا أخشىٰ أن يفى بوعده ويحرم العلم من ثمرات كدّه وجدّه. فلذلك أنا أخيره بين خطتين : إما أن أؤخر إظهار هذا الكتاب إلىٰ ماشاء الله ، وإما أن يبحث الأستاذ علىٰ كتاب آخر ويعلق علىٰ وجوده ذلك الشرط الذى اشترطه علىٰ نفسه .

وقد أخبرنى الأستاذ هيس بأن صاحبنا وعد بأمرين وهما عدم الوفاء بشرطه الأوّل فيما يتعلق بهذا الكتاب ، وأنه سيجعل مفارقته لنا معلقة علىٰ وجود كتاب آخر يكون أندر من الكبريت الأحمر، مثل "سيرة ٱبن إسحاق" أو كتاب "الإكليل" للهمدانى"، فإننى لا أزال أتطلبهما وأحلم بهما فى اليقظة والمنام .

*
* *

عنايتى بهذه الطبعة ومنهاجى فيها

فلذلك أقدمتُ الآن علىٰ إظهار هذا الكتاب، بعد أن بالغت فى عنايتى بتحقيقه، وجريتُ فى طبعه على الطريقة التى كان يتوخاها علماء الإسلام فى أيامه الزاهرة من حيث تحقيق الكلمات كلها واحدة واحدة ، والتدقيق فى مراجعة الموضوعات موضوعا موضوعا ، مع الاحتفاظ الشديد بضبط الألفاظ وتفصيل المطالب . وقد عانيتُ فى ذلك كثيرا من المشقة، وراجعتُ دواوين اللغة ومتون الأدب، وأسفار التاريخ، وعلقتُ عليه كثيرا من الحواشى .

وٱعتمدتُ فى طبعه وتحقيقه علىٰ جميع الفصول التى نقلها عنه ياقوت فى "معجم البُلْدان"، وعلىٰ جميع ما أورده عنه البغدادى" فى "خزانته" . وكتبتُ بحرف صغير وبين قوسين مستديرين كل ما أورده ٱبن الكلبي" من البيانات اللغوية أو التاريخية التى ليست بها علاقة أصلية بنفس موضوع الأصنام. أما الزيادات التى" فى ياقوت، فوضعتُها فى مواضعها فى نفس المتن، وحصرتُها كلها بين قوسين مربعين بدون تنبيه فى الحواشى، اللهم إلا إذا كانت هذه الزيادات مأخوذة عن البغدادى"، فإننى حينئذ ألفِت نظر القارئ إلىٰ ذلك فى الحواشى . ثم ختمتُ الكتاب بفهارس تحليلية، وأضفتُ إليها جدولا بأسماء الأصنام التى لم يذكرها ٱبن الكلبي" فى كتابه، جمعتُها

من هنا ومن هنا مما أدى إليه بحثى الكثير ومراجعاتى المتكررة . وبذلك يتيسر لمن يريد الإلمام بموضوع هذا الكتاب أن يستوفى تقريبا كل ما أورده الإسلاميون فى هذا البحث الجميل .

وأنا أسأل الله أن يتقبل عملى هذا ، وأن يجعله خالصا فى خدمة الأمة العربية الكريمة ، ومساعدا على إحياء آدابها وتجديد حضارتها . إنه أكرم مسئول ، وهو الجدير بالقبول .

أحمد زكى باشا

عن الخزانة الزكية بالقاهرة فى صفر سنة ١٣٣٢ هـ — يناير سنة ١٩١٤ م

بيــان
الرموز المستعملة فى هذه الطبعة

١ – الحـــــروف

س = سطر .

ص = صفحة .

ح = حاشية .

ج = جزء .

٢ – الارقام

الأرقام الصـــغيرة الموجودة على الهوامش الداخليـــة تدل على عدد الســـطور خمسة خمسة .

الأرقام المكتوبة فى علبة ۞ على الهوامش الخارجية تدل على عدد الصفحات فى النسخة الأصلية، أى المحفوظة فى "الخزانة الزكية" .

أما أعداد الصفحات المتسلسلة ، فقد وضعتُ ما يختص بالتصدير فى أســفله ؛ وأما ما يختص بالكتاب نفسه وملحقاته وفهارســه ، فهى فى أعلى الصفحات مثل المعتاد . وذلك منعا للالتباس .

٣ – الحركات

ـِّـ هذه العلامة تدل على الشدّة المكسورة، كما أن ـَّـ تدل على الشدّة المفتوحة .

ـٍّـ « « « « بكسرتين، كما أن ـًّـ تدل على الشدّة بفتحتين .

أَلِفُ الوصل، أضع فوقها دائما العلامة الخاصة بها (ٱ). إلا إن جاءت هذه الألف في أوّل الكلام ، فإنني أضع فوقها أو تحتها الحركة التي تستلزمها (فتحة أو ضمة أو كسرة ـَ ـُ ـِ) لكي تكون ممتازة عن أَلِف القَطْع التي تكون الهمزة دائما فوقها أو تحتها . وذلك لتعريف القارئ بأن هذه الحركة تسقط وتزول إذا ٱتصلت أَلِف الوصل بحرف او بكلمة قبلها .

٤ – ضبط الكلمات والأعلام

(١) إذا كان للكلمة ضبطان (أى صورتان من الحركات) ، فإنني أعتمد الضبط الأوّل الوارد فى كتب اللغة ، وكذلك الحال فى أوزان الأفعال؛ اللهم إلا إذا كان مما يمجّه الذوق المصرىّ العصرىّ .

(٢) الأعلام التاريخية والجغرافية، ضبطتُها بحسب القول الأوّل او الأشهر، معتمدا على المصادر المعتبرة .

وله يقول الهذلي وهو يهجو رجلا تزوج امرأة جميلة
يقال لها أسماء
لقد أنكحت أسماء لحى بقيرة من الأدم أهداها امرؤ من بنى غنم
رأى قذعا فى عينها إذ يسوقها الى غبغب العزى فوسع فى القسم
وكانوا يقسمون لحوم هداياهم فيمن حضرها وكان عندها
فلغبغب يقول نهيكة الفزارى لعامر بن الطفيل
يا عام لو قدرت عليك رماحنا والراقصات الى منى فالغبغب
وله يقول قيس بن منقذ بن عبيد بن ضاطر بن حبشية
ابن سلول وولدته امرأة من بنى حداد من كنانة وناس
يجعلونها من حداد محارب وهو قيس بن الحدادية الخزاعى
تلينا ببيت الله أول حلفة وإلا فأنصاب يسرن بغبغب
وكانت قريش تخصها بالاعظام فلذلك يقول زيد

راموز للصفحة ١٧ من النسخة الوحيدة لكتاب الأصنام المحفوظة " بالخزانة الزكية " بالقاهرة

(أنظر صفحة ٢٠ من هذه الطبعة)

اليعبوب صنم لجديلة طيء وكان لهم صنم أخذته منهم بنو أسد فتبدلوا اليعبوب بعده

قال عبيد

تبدلوا اليعبوب بعد إلههم صنماً فقروا يا جديل وأعذبوا

أي لا تأكلوا على ذلك ولا تشربوا باجر قال ابن دريد صنم كان للأزد في الجاهلية ومن جاورهم من طيء وقضاعة كانوا يعبدونه بفتح الجيم وربما قالوا باجر بكسر الجيم

نقلت هذه النسخة من نسخة بخط الإمام العلامة أبي منصور موهوب بن أحمد بن الجواليقي رحمه الله ثم قوبلت بها بحسب الطاقة

الحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

راموز للصفحة ٥٧ من النسخة الوحيدة لكتاب الأصنام ، المحفوظة " بالخزانة الزكية " بالقاهرة

(أنظر صفحة ٦٣ من هذه الطبعة)